وَالآيَاتُ فِي الْبَابِ كَثِيرَةٌ.

وَمِنَ الأَحَادِيثِ الْحَدِيثُ السَّابِقُ «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ».

١٠ ــ باب: في المبادرة إلى الخيرات وحثّ مَن توجّه لخير على الإقبال عليه بالجد من غير تردُّد

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٢]: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ

فيها وتلاشي أمرهم بعد كمال قوتهم صورة فيعرفون أن الحي القيوم هو الله وأن غيره فان، فلا يركنوا إلى الدنيا، ولا يغتروا بزهراتها، ولا يقبلوا على مستلذاتها وشهواتها ويغفلوا عما خلقوا له من عبادة مولاهم وطاعته اللذين بهما كمال المرء وسعادته (**الآية**) بالنصب أي: اقرأ الآية أو بالرفع أي: الآية إلى آخرها معلومة أو المستدل به الآية فهو مبتدأ أو خبر (**والآيات في الباب كثيرة ومن الأحاديث الحديث السابق**) عن شداد بن أوس في باب المراقبة (**الكيس من دان نفسه**) «وعمل لما بعد الموت» فإن محاسبته لها وعدم تركها هملاً إنما ينشأ عن تفكره في الدنيا وزوالها وفي نفسه وانتقالها كأنك بالدنيا ولم تكن وبالآخرة ولم تزل فيحاسب نفسه فيمنعها عما لا ينبغي ويحليها بما يرضي الله وبالله التوفيق:

باب المبادرة

أي: المسارعة (**إلى**) فعل (**الخيرات وحث**) أي: حض (**من توجه لخير على الإقبال عليه**) أي: على التوجه (**بالجد**) بالعزم على الأمر والإتيان به (**من غير تردد**) في ذلك قال تعالى: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾[٣] سارعوا إليها (**وقال تعالى: وسارعوا**) بادروا (**إلى مغفرة من ربكم**) أي: الأعمال الموجبة للمغفرة بالوعد الصادق، أو إلى التوبة أو إلى أداء الفرائض أو إلى الهجرة (**و**) إلى (**جنة عرضها السموات والأرض**) أي: كعرضها أي: سعتها كذلك،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وَأَمَّا الأَحَادِيثُ:

٨٧ ـ فَالأَوَّلُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَسَتَكُونُ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ: يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، وَيُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً؛ يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنيَا!» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

وخص العرض بالذكر لأن طول كل شيء غالباً أكثر من عرضه هذا عرضها، وأما طولها فلا يعلمه إلا الله، وهذا على التمثيل لا أنها كالسموات والأرض لا غير بل كعرض السموات والأرض عند ظنكم (الآية) أي: أتم الآية يعني أعدت للمتقين، وهو وقف تام وما بعده من الآيات وصف للمتقين المعد لهم الجنة في علم الله من فضله.

٨٧ ـ (وأما الأحاديث: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: بادروا بالأعمال... فتناً) أي: ائتوا بالعمل الصالح وابتدروا إليه قبل ظهور المانع منه من الفتن، فهو قريب من حديث: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» ثم وصف الفتن المانعة من كمال العمل، أو من أصله بأنها (كقطع) بكسر ففتح جمع قطعة أي: طائفة (من الليل المظلم) أي: كلما ذهب ساعة منه مظلمة عقبتها ساعة مثل ذلك، قال في النهاية: أراد فتنة سوداء تعظيماً لشأنها ا هـ. وفي الحديث إشارة إلى تتابع الفتن المضلة أواخر الزمان، وكلما انقضى منها فتنة عقبتها أخرى، وقانا الله من الفتن بمنه وكرمه (يصبح الرجل مؤمناً) أي: باقياً على إيمانه الذي كان عليه (ويمسي) بضم التحتية فيه وفي يصبح (كافراً) يحتمل الكفران بالنعم لما يداخله من المعاصي المبعدة من ساحة الشكر. ويحتمل الكفر الحقيقي. قال القرطبي: ولا يمتنع حمله على ذلك؛ لأن الفتن إذا تراكمت أفسدت القلب وأورثته القسوة والغفلة التي هي سبب الشقاء.

(ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض) بفتح الراء أي: متاع وحطام (من الدنيا) استئناف بياني أي: أن سبب كفره بيعه أي: أخذه العرض في مقابلة دينه، بأن يأخذ أو يستحل مال أخيه المسلم، أو يستحل الربا والغش أو نحوه مما أجمع على تحريمه وعلم من الدين بالضرورة. قال القرطبي: ففي الحديث التمسك بالدين (رواه مسلم) ورواه أحمد

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: معنى قول النبي ﷺ «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» (الحديث: ١٢٠).

٨٨ ــ الثَّانِي عَنْ أَبِي سِرْوَعَةَ «بِكَسْرِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ وَفَتْحِهَا» عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ مُسْرِعاً فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَرَأَى أَنَّهُمْ قَدْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ. قَالَ: «ذَكَرْتُ شَيْئاً مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. .....

والترمذي كما في الجامع الصغير، وزاد في آخر الحديث: «يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل».

٨٨ ــ **(وعن أبي سروعة بكسر السين المهملة وفتحها)** وإهمال الراء والعين **(عقبة بن الحارث)** بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي **(رضي الله عنه)** وما ذكره المصنف من أنه أبو سروعة قول أهل الحديث ومصعب الزبيري. وأهل النسب يقولون: إن عقبة أخو أبي سروعة، وإنهما أسلما معاً يوم الفتح. قال ابن الأثير: وهو الأصح روى له البخاري ثلاثة أحاديث **(قال: صليت وراء النبي ﷺ بالمدينة)** علم بالغلبة على مهاجره ﷺ والنسبة إليها مدني **(العصر)** هذا بناء على أنها اسم للصلاة، وعلى كونها اسماً للوقت، فهو على تقدير المضاف أي: صلاة العصر **(فسلم ثم قام مسرعاً)** لعل تراخي القيام عن السلام مع مبادرته في الأثر وإسراعه أنه إنما تذكر حينئذ، وفي رواية فقام **(فتخطى رقاب الناس)** أي: قطع الصفوف حال جلوس الناس. أما وهم قيام فيقال له خرق الصفوف **(إلى بعض حجر نسائه)** متعلق بتخطى. وحُجَر بضم الحاء وفتح الجيم جمع حجرة اسم للمنزل **(ففزع)** بوزن علم من الفزع الخوف أي: خاف **(الناس من سرعته)** في السير إلى تلك الحجرة وعادته ﷺ أن يمشي هوناً، وعادتهم الفزع إذا رأوا منه غير ما يعهدون، خشية أن ينزل فيهم شيء يسوءهم **(فخرج عليهم فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته)** في خروجه من الحجرة **(فقال: ذكرت شيئاً من تبر)** بكسر الفوقية وسكون الموحدة. وفي رواية: «وأنا في الصلاة». وعليه فثم في قوله: «ثم قام» مستعارة من الفاء **(عندنا فكرهت أن يحبسني)** أي: يشغلني التفكر فيه عن التوجه والإقبال على الله تعالى، وفهم بعضهم معنى آخر. فقال: إن تأخير الصدقة يحبس صاحبها يوم القيامة **(فأمرت بقسمته)** وفي رواية: «فقسمته» وفيه جواز الاستنابة مع القدرة على المباشرة **(رواه البخاري)** وترجم له باب من صلى بالناس فذكر

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: «كُنْتُ خَلَّفْتُ فِي الْبَيْتِ تِبْراً مِنَ الصَّدَقَةِ فَكَرِهْتُ أَنْ أُبَيِّتَهُ. «التِّبْرُ»: قِطَعُ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّـةٍ[١].

٨٩ ــ الثَّالِثُ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ» فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْـهِ[٢].

حاجة فتخطاهم **(وفي رواية له كنت خلفت في البيت تبراً من الصدقة فكرهت أن أبيته)** من التبييت أي: أتركه عندي ولا أدفعه لمستحقه، ففيه المبادرة لأداء القربات وفعل الخيرات **(والتبر قطع)** بكسر القاف ففتح المهملة **(ذهب أو فضة)** هذا قول لبعضهم والذي قال الجوهري: إنه الذهب فقط؛ فلذا قال في فتح الباري: التبر الذهب إذا لم يصف ولم يضرب، وأطلقه بعضهم على جميع جواهر الأرض قبل أن يصاغ أو يضرب، حكاه ابن الأنباري عن الكسائي، وكذا أش إليه ابن دريد وقيل هو المكسور. حكاه ابن سيدة.

٨٩ ــ **(وعن جابر)** أي: ابن عبد الله **(رضي الله عنه قال: قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد:)** قال الخطيب: هو عمر بن الحمام ابن الجموح بن حرام الأنصاري. وقيل: غيره. لأنه كانت قصته هذه يوم بدر لا يوم أُحد نقله المصنف في مهماته **(أرأيت)** بفتح الفوقية أي: أخبرني **(إن قتلت)** أي: في سبيل الله **(فأين أنا)** أي: فأين أصير. حُذف الفعل فانفصل مرفوعه **(قال: في الجنة فألقى تمرات)** أي: قليلات **(كن في يده)** كان يأكل منهن، ولم يطمئن للأكل مسارعة للجهاد، ثم لم يرض بالصبر مدة أكل تلك الحبات مسارعة للخيرات واستباقاً لمرضاة الله عليه **(ثم قاتل حتى قتل متفق عليه)** وفي أخرى عنه: «لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل». رواه مسلم من حديث أنس. وذكر ابن عقبة في مغازيه أنه أول من قتل يومئذ من المسلمين، وفي كتاب «مفتاح البلاد في فضائل الغزو والجهاد» تأليف جدي الشيخ محمد علان الصديقي البكري، سبط آل الحسن. روى الحاكم عن أنس، أن رجلاً أسود أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني رجل أسود اللون منتن الريح لا مال لي، فإن أنا قاتلت هؤلاء حتى أقتل؛ فأين أنا؟.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب من صلى بالناس فذكر حاجة فتخطاهم(٢ / ٢٧٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة أحد (٧/٢٧٣).

وأخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: ثبوت الجنة للشهيد. (الحديث: ١٤٣).

٩٠ ــ الرَّابِعُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْراً؟ قَالَ: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلَا تُمْهِلْ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ .....

قال: «في الجنة» فقاتل حتى قتل، فأتاه النبي ﷺ فقال: «بيض الله وجهك وطيب ريحك وأكثر مالك» الحديث ا هـ.

٩٠ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل)** قال في فتح الباري لم أقف على اسمه، ويحتمل أنه أبو ذر. ففي مسند أحمد أنه سأل أي الصدقة أفضل؟ لكن في الجواب جهد من مقل أو سر إلى الفقير. وكذا في مسند عبد بن حميد أن أبا ذر سأل فأجيب **(إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً)** في رواية: أي الصدقة أفضل **(قال أن تصدق)** بتشديد الصاد والدال المهملتين وأصله تتصدق بتاءين فأدغمت إحداهما في الصاد[1] **(وأنت صحيح شحيح)** قال الخطابي: الشح أعم من البخل، وكأن الشح جنس والبخل نوع، وأكثر ما يقال: البخل في أفراد الأمور والشح عام. وقيل: هو الذي كالوصف اللازم ومن قبيل الطبع. قال: فمعنى الحديث إن الشح غالب في حال الصحة، فإذا سمح فيها وتصدق كان أصدق في نيته وأعظم لأجره، بخلاف من أيس من الصحة ورأى مصير المال لغيره، فإن صدقته حينئذ ناقصة بالنسبة إلى حال الصحة والشح ورجاء البقاء وخوف الفقر ا هـ. وفي فتح الباري قال صاحب المنتهى: الشح بخل مع حرص. وقال صاحب المحكم: الشح بتثليث الشين والضم، أعلى. وقال صاحب الجامع: كان الفتح في المصدر والضم في الاسم **(تخشى)** أي: تخاف ولهذا الفعل ستة مصادر نظمها ابن مالك فقال:

خشيت خشياً ومخشاة ومخشية وخشية وخشاء ثم خشيانا

(الفقر) أي: إن أنفقت، لوسوسة الشيطان بذلك. قال تعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾[2] **(وتأمل)** بضم الميم **(الغنى)** أي: تطمع به **(ولا تمهل)** بالإسكان على أنه نهي، والرفع على أنه نفي، ويجوز النصب قاله في فتح الباري. أي: لا تؤخر الصدقة **(حتى إذا بلغت)** أي: الروح **(الحلقوم)** أي: قاربت بلوغه، إذ لو بلغته حقيقة لم تصح وصية ولا

---

(١) ويجوز تخفيف الصاد على حذف إحدى التاءين. كرماني

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٨.

قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلانٍ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. «الْحُلْقُومُ»: مَجْرَى النَّفَسِ. وَالْمَرِيءُ: مَجْرَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ[1].

صدقة ولا شيء من تصرفاته بالاتفاق، ولم يجر للروح ذكر اكتفاء بدلالة السياق كالآية **(قلت)** ليأسك من الحياة أوصيت **(لفلان)** بما هو **(كذا و)** أوصيت **(لفلان)** بما هو **(كذا وقد كان لفلان كذا)** الظاهر أن هذا من باب الإقرار لا الوصية. وقال الخطابي: فلان الأول والثاني الموصى له، وفلان الأخير الوارث. قال: يريد يعني النبي ﷺ أنه إذا صار للوارث؛ إن شاء أبطله وإن شاء أجازه. وقال غيره: يحتمل أن يكون المراد من الجميع الموصى له، وإنما دخل كان في الثالث إشارة إلى تقدير المقدر له في الأزل بذلك. وقال الكرماني: يحتمل أن يكون الثالث المورث أو الموصى له. قال الحافظ: ويحتمل أن يكون بعضها وصية وبعضها إقراراً. وقد وقع في رواية ابن المبارك قلت: اصنعوا لفلان كذا وتصدقوا لفلان بكذا ا هـ. ملخصاً قيل: وهذا من باب التجيل عليه أي: إذا كان طمعك في الحياة أوجب لك كتمان الحق اللازم لك إلى أن أيست منها، فما أقررت به إلا الآن ولم تقر به قبل، فأولى أن يوجب لك الطمع تأخير الصدقة إلى الآن، فاحذر ذلك، **فإنك** يؤخذ من مالك حيث لا ينفعك التحسر ولا يفيدك الندم **(متفق عليه)** ورواه أبو داود والترمذي والنسائي. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «لأن يتصدق المرء في حياته بدرهم خير له من أن يتصدق بمائة عند موته» رواه أبو داود، وقال الحافظ في فتح الباري أخرجه الترمذي بإسناد حسن وصححه ابن حبان. **(الحلقوم)** بضم الحاء المهملة وسكون اللام وبالقاف. قال في النهاية: والميم أصلية. وقيل: إنه مأخوذ من الحلق، فالواو والميم زائدتان **(مجرى)** بضم الميم وسكون الجيم محل جريان **(النفس)** بفتح النون والفاء **(والمريء)** بفتح الميم وكسر الراء المهملة مهموز ممدود. **(مجرى الطعام والشراب)** من الحلق وجمعه مروء كسرير وسرر.

---

(١) قوله وفي الحديث فيه نظر إذ هو من كلام الحسن البصري كما في اختصار المقاصد الحسنة للزرقاني وإن صح معناه في حديث البخاري «ما من يوم يأتي إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم».

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: أي الصدقة أفضل (٣/٢٢٦)، والوصايا: باب الصدقة عند الموت.

وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح. (الحديث: ١٢٩).

٩١ ــ الْخَامِسُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ سَيْفاً يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: «مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟» فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ أَنَا أَنَا،فَقَالَ: فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟» فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ. فَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ. فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. اسْمُ أَبِي دُجَانَةَ: سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ. قَوْلُهُ «أَحْجَمَ الْقَوْمُ»: .....

---

٩١ ــ **(وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد)** بضم أوليه جبل معروف بالمدينة، كانت عنده الغزوة المعروفة **(فقال: من يأخذ مني هذا)** أي: السيف مطلقاً عن التقييد **(فبسطوا)** بموحدة فمهملتين **(أيديهم)** أي: مدوها لأخذه **(كل إنسان منهم يقول: أنا)** آخذه **(أنا)** آخذه والتكرار باعتبار التعدد في معنى كل **(قال:)** ﷺ **(فمن يأخذه بحقه)** قال القرطبي: يعني بهذا الحق أن يقاتل بذلك السيف إلى أن يفتح الله على المسلمين أو يموت **(فأحجم القوم)** لما فهموا ذلك **(فقال أبو دجانة)** بضم الدال المهملة وبالجيم وبعد الألف نون **(واسمه سماك بن خرشة)** بن لودان الأنصاري مشهور بكنيته **(رضي الله عنه)** شهد بدراً وأُحداً ودافع عن رسول الله ﷺ يومئذ هو ومصعب بن عمير، وكثرت فيه الجراحات، وقتل مصعب واستشهد أبو دجانة يوم اليمامة. قال أبو عمرو إسناد حديث الحرر المسنوب إليه فيه ضعف، وقيل: إنه موضوع. والأول أشهر **(أنا آخذه بحقه)** أي: بعد أن قال: يا رسول الله وما حقه فقال: أن تضرب به في وجه العدو حتى ينحني. فقال: أنا آخذه **(فأخذه)** فقام بشرطه ووفى بحقه **(ففلق)** أي: شق **(به هام)** بتخفيف الميم أي: رؤوس **(المشركين)** وفي سيرة ابن سيد الناس عن الزبير أنه قال: وجدت في نفسي حين سألت النبي ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة فقلت: والله لأنظرن ما يصنع، فاتبعته فأخذ عصابة حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت، وهكذا كان يقول إذا عصب بها. فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ... ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر في الكيول ... أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله **(رواه مسلم وقوله: أحجم القوم)** قال في شرح مسلم: هو بحاء ثم جيم. كذا في معظم الأصول، وفي بعضها بتقديم الجيم على الحاء. وادعى القاضي عياض أنه الرواية ولم يذكره غيره. قال: لكنهما لغتان ومعناهما تأخروا وأوكفوا،

أَيْ تَوَقَّفُوا. وَ «فَلَقَ بِهِ»: أَيْ شَقَّ «هَامَ الْمُشْرِكِينَ» أَيْ رُؤوسَهُمْ[١].

٩٢ ـ السَّادِسُ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ: أَتَيْنا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الْحَجَّاجِ. فَقَالَ: «اصْبِرُوا فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِي زَمَانٌ إِلاَّ وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ ....

وهو بمعنى قول المصنف هنا (**توقفوا وفلق به أي شق**) به (**هام المشركين أي رؤوسهم**) قال الشاعر:

ويضرب بالسيوف رؤوس قوم أزيلت هامهن عن المقيل

المقيل أصول الأعناق.

٩٢ ـ (**وعن الزبير**) بضم الزاي وفتح الموحدة وسكون التحتية (**ابن عدي**) بفتح فكسر للمهملتين وتشديد الياء. قال الذهبي في الكاشف: الزبير بن عدي الهمذاني اليامي، نسبة إلى بني يامة قاضي الري، يروي عن أنس ثقة فقيه، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة، روى عنه الستة اهـ (**قال: أتينا أنس بن مالك رضي الله عنه**) أي: بالبصرة (**فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج**) بفتح المهملة وتشديد الجيم الأولى، ابن يوسف الثقفي، عامل عبد الملك بن مروان على الحجاز ثم على العراق (**فقال اصبروا**) أي: على ما تلقون منه (**فإنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه**) أي: فينبغي للإنسان أن يبادر لصالح الأعمال وإن لحقته المتاعب والمشاق والأتعاب، ولا يترقب الخلو عن ذلك فما يأتي بعد أشد في ذلك مما في الزمان الذي كان فيه، لأن الزمان لا يزال في البعد عن مشكاة النبوة والقرب من البدع والفتن، فلا يمضي زمن فيه نقص لشيء من السنن، أو ابتلاء بشيء من المحن إلا والذي بعده أشد منه في ذلك، بأن يعتقد أن تلك السنة التي تركت أولاً للتمادي على تركها والجهل بها بدعة، أو يصيبه من الكروب ما يتهون معه ما سلف له من الخطوب. وفي الحديث[٢] الشريف في كل عام ترذلون. وقال الشاعر:

يا زماناً بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في المواثيق والعهود: جرت عادة الله تعالى بالابتلاء

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: في فضائل أبي دجانه سماك بن حرشة رضي الله تعالى عنه. (الحديث: ١٢٩).

(٢) قوله وفي الحديث فيه نظر إذ هو من كلام الحسن البصري كما في اختصار المقاصد الحسنة للزرقاني وإن صح معناه في حديث البخاري ما من يوم يأتي إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم.

حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ» سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

٩٣ ــ السَّابِعُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعاً: هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلاَّ فَقْراً .....

بالمصيبة ثم بأشد منها، وذلك ليتدرج العبد من الأخف إلى الأشد، إذ لو فاجاءه الأشد ابتداء ربما عجز عن حمله، بخلافه بعد التدرج من الأخف إليه. ولا يشكل على ما ذكره وجود زمان عمر بن عبد العزيز بعد زمان الحجاج، لما روي أن الحسن البصري سئل عن ذلك فقال: لا بد للناس من زمان يتنفسون فيه وفي التوشيح حمل الأكثر حديث الباب على الأكثر الأغلب. وأجاب آخرون: بأن المراد تفضيل مجموع كل عصر على مجموع العصر الذي بعده، فإن زمن الحجاج كان فيه كثير من الصحابة، وقد انقرضوا في زمن عمر بن عبد العزيز، والزمن الذي فيه الصحابة خير من الزمن الذي بعده ا هـ. وحاصل الأمر: أن الوقت سيف إن لم تقطعه بصالح العمل وانتظرت الفراغ من سائر الأتعاب قطعك وذهب عليك أنفس الأشياء بلا فائدة، والله المستعان ويستمر توارد الأهوال وتعاقب الأحوال عليكم **(حتى تلقوا ربكم)** فلا راحة للمؤمن دون لقاء ربه. ولا يشكل على هذا الحديث حديث النسائي: «أمتي كالمطر لا يدري أولها خير أم آخرها» لأن ما في حديث الباب باعتبار الزمان كما تقدم، وذاك باعتبار أهله، وعطايا الله تعالى غير مختصة بزمن دون زمن، فكم وجد في الأزمنة الأخيرة من هو خير من كثير ممن تقدم في الأزمنة، كالأئمة العلماء العاملين، الذين لا يزالون على الحق ظاهرين. وكالأولياء والصالحين الذين بهم يرفع البلاء عن العالمين، وتدر بهم البركات وينتظم بهم شمل الأوقات **(سمعته)** أي: ما حدثتكم به **(من نبيكم)** إضافة إليهم ليخف عنهم ألم ما يكابدونه من المشاق. (ﷺ. **رواه البخاري)** وفي الأربعين للمالييني عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزداد الأمر إلا شدة والدنيا إلا إدباراً والناس إلا شحاً ولا مهدي إلا عيسى ابن مريم، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس».

٩٣ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: بادروا)** سابقو أي: اسبقوا بالاشتغال **(بالأعمال)** الصالحة **(سبعاً)** من الأحوال الطارئة المشغلة واهتموا بالأعمال الصالحة قبل حصولها، وحذف التاء لكون المعدود مؤنثاً أو لحذفه **(هل تنتظرون إلا فقراً**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الفتن، باب: لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه (١٣/١٦، ١٧).

مُنْسِياً، أَوْ غِنًى مُطْغِياً، أَوْ مَرَضاً مُفْسِداً، أَوْ هَرَماً مُفْنِداً، أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً، أَوِ الدَّجَّال فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ[1].

٩٤ ــ الثَّامِنُ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ» قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، فَتَسَاوَرْتُ لَهَا رَجَاءَ أَنْ أُدْعَى لَهَا. فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

منسياً) أي: إنه لما ينال النفس منه من الغم ينشأ عنه النسيان (أو غنى مطغياً) لصاحبه وملهياً له عن القيام بأنواع حق العبودية (أو مرضاً مفسداً) للعقل أو للبدن مانعاً من أداء العبادة أومن كمالها، ومن ثم ورد: نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ (أو هرماً مفنداً) قال في النهاية: الفند في الأصل، الكذب، وأفند: تكلم بالفند، ثم قالوا للشيخ إذا هرم قد أفند، لأنه يتكلم بالمنحرف من الكلام عن سنن الصحة، وأفنده الكبر إذا أوقعه في الفند. قال العاقولي: ولا يقال: امرأة مفندة لأنها لم تكن في شبيبتها صاحبة رأي فتفند في كبرها (أو موتاً مجهزاً) بضم الميم وسكون الجيم وكسر الهاء آخره زاي. أي سريعاً يقال: أجهز على الجريح يجهز إذا أسرع قتله، كأنه يريد به موت الفجأة أو الاختزام في الشباب. (أو الدجال فهو شر غائب ينتظر) لما فيه من شدة الفتنة التي لا ينجو منها إلا من عصمه الله (أو الساعة فالساعة) أي: عذابها وأعادها بلفظها تفخيماً لشأنها (أدهى) أعظم بلية (وأمرّ) أشد مرارة من عذاب الدنيا وأهوالها (رواه الترمذي وقال: حديث حسن) ورواه الحاكم في المستدرك.

٩٤ ــ (وعنه) أي: عن أبي هريرة رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر:) بوزن جعفر، وكانت في السنة السابعة (لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله) بالنصب ومحبة العبد لله ورسوله هو الإيمان بهما واتباع ما جاء به (يفتح الله على يديه) أي: بعض حصون خيبر. وكان ذلك بعد إرسالها مع رجلين من كبار الصحابة، وما كان الفتح على أيديهما ففيه معجزة للنبي ﷺ حيث أخبر عن مغيب، فكان كما أخبر به كما سيأتي (قال عمر رضي الله عنه: ما أحببت الإمارة) بفتح الهمزة وكسرها (إلا يومئذ) ليس حبه لها لذاتها إنما

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ما جاء في المبادرة بالعمل. (الحديث: ٢٣٠٦).

عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَاوَقَالَ: «امْشِ وَلَا تَلْتَفِتْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ» فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئاً ثُمَّ وَقَفَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ، فَصَرَخَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى مَاذَا أُقَاتِلُ النَّاسَ؟ قَالَ: قَاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ،

هو لكونها علامة لحب ذلك الأمير لله تعالى اللازمة لحب الله تعالى (له) قال تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾[1] ولحصول الفتح على يديه (فتساورت) أي: تطاولت له كما جاء في رواية لمسلم أيضاً. (رجاء أن ادعى لها) بالبناء للمفعول (فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأعطاه إياها وقال: امش ولا تلتفت) لئلا يشغلك ذلك الالتفات عن كمال التوجه (حتى يفتح الله عليك) أي: واصبر على الجهاد وترك الالتفات إلى أن يفتح الله عليك، ويحتمل أن تكون حتى تعليلية. ويكون علم كونه علة لذلك بالوحي (فسار علي) أي: عقب الأمر مبادراً للجهاد (شيئاً) أي: من السير، فهو مفعول مطلق (ثم وقف ولم يلتفت) لئلا يخاف نهيه عنه وفهم منه علي رضي الله عنه ظاهره من الالتفات يمنة ويسرة، فلذا لم يلتفت بعينه مع أنه يحتاج إليه للخطاب، وإن كان يحتمل أن يكون المراد من ترك الالتفات ــ كما قال المصنف ــ الحث على الإقدام والمبادرة إلى ما أمر به، وأن يكون المراد، لا تنصرف بعد لقاء عدوك حتى يحصل الفتح، ففيما فعله علي رضي الله عنه الأخذ بظاهر الأمر وترك الوجوه المحتملات إذا خالفت الظاهر (فصرخ) أي: رفع صوته (يا رسول الله على ماذا) مركب بمعنى: على أي شيء (أقاتل الناس قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) سكت فيه عن ذكر أداء الجزية. مع أنها رافعة لقتالهم إذا أعطوها، لأنهم أهل كتاب. ولعله كان قبل نزول آية الجزية وفي الحديث: الدعاء إلى الإسلام قبل القتال ومذهبنا ومذهب آخرين إن كان القوم ممن لم تبلغهم دعوة الإسلام وجب إنذارهم قبل القتال، أو من غيرهم فلا ولذا قال: (فإذا فعلوا ذلك) فيه إطلاق الفعل على القول أي: إذا تلفظوا بهذه الكلمة (فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها) أي: فيؤخذ بذلك كالنفس بالنفس والزكوات (وحسابهم على الله) أي: يكف عن قتالهم بنطقهم بذلك وأما ما بينهم وبين الله تعالى، فإن صدقوا وآمنوا بالقلب نفعهم ذلك في الآخرة ونجوا من العذاب كما نفعهم في الدنيا، وإلا فلا ينفعهم بل يكونون منافقين من أهل النار

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

رَوَاهُ مُسْلِمٌ. قَوْلُهُ: «فَتَسَاوَرْتُ» هُوَ بِالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ: أَيْ وَثَبْتُ مُتَطَلِّعاً[1].

١١ ــ باب: في المجاهدة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[2]: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

(ورواه مسلم. قوله: فتساورت هو بالسين المهملة) وبالراء المهملة أيضاً (أي وثبت متطلعاً لها) أي: حرصت عليها حتى أظهرت وجهي وتصديت له ليرى مكاني فلعله يوليني:

باب المجاهدة

مفاعلة من الجهد أي: الطاقة. فإن الإنسان يجاهد نفسه باستعمالها فيما ينفعها حالاً ومآلا، وهي تجاهده بما تركن إليه بحسب طبعها وجبلتها من ضد ذلك، ولكون المجاهدة مع النفس التي بين جنبي الإنسان، وهي لا تخرج ولا تنفك عنه كان هذا الجهاد الأكبر. وجهاد العدو الخارج الجهاد الأصغر.

(قال تعالى والذين جاهدوا فينا) قال بعض العارفين: هذه الآية صفوة هذه السورة. ومن جملة المجاهدات مجاهدة النفس بالصبر عند الابتلاء، ليعقب ذلك أنس الصفاء وينزع عنه لباس الجفاء، وفي الحديث: «إن ابتلاء المؤمن يذهب عنه درنه» (لنهدينهم سبلنا) أتى بلام الابتداء أو لام جواب القسم المقدر المسند إلى الحق سبحانه، إشارة إلى أنه تعالى يتولى الهداية بنفسه للمجاهدين فيه، وأنه ينعم عليهم بكمال النعمة والجزاء، ولم يقل سبيلي إشارة إلى الإمناح بكثرة المعارف ولطائف الشهود ودوامه، وانهلال سحب الأفضال (وأن الله لمع المحسنين) المحسن من يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه سبحانه يراه، فإذا كان هكذا كان له من شريف المعية ما أشار إليه بقوله إن الله لمع المحسنين. وقد ورد من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «أنا جليس من ذكرني وأنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه» قال الزركشي في الدرر: رواه البيهقي.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه. (الحديث: ٣٣).

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.